

انتماءات النص: الانتقال من النسخة إلى النسخ

د. راييس زواوي جامعة الجيلالي ليايس سيدي بلعباس

الملخص.

فإذا كنت لا تملك أدوات فهم النص من مجاملة، ومغامرة، ثم إعادة قراءة القراءة (النص الأصلي)، فإنك لا تستطيع تحديد الانتقال إلى التأويل في عملية لفهم النص، فالتأويل هو ممارسة فلسفية وتفاعلية مع الآخر. فهو تحدي، ورهان، لابد أن يتأسس على خطوات التعامل مع النص، وهذا كله يتوقف على مدى فهم اللغة الأصلية للنص، ومدى قراءته، وترجمته باعتماد على المنهج الفينومولوجي- التحليلي لتحديد كيفية بناء المفهوم في علاقته بغيره في نسق واحد داخل النص، ومن ثم، إعادة قراءته فينو- بنويًا، كما نسعى في هذا البحث الوقوف على تغيرات النص من النسخة إلى النسخ المطابقة، بغرض إضافة قراءة ثانية ومؤلف آخر بعد إلغاء النسخة الأصلية، وهذا كله تحت محاور الواردة في المتن.

الكلمات المفتاحية:

البعد الفلسفي والمعرفي للتأويل - الانتقال بالنص داخل فهم اللغة والمعنى - النص وما يطرحه من تفكيك للفظ.

Résumé.

Si vous ne possède pas les outils de comprendre le texte d'après entretenir, aventurer et relecture la lecture original du texte, vous ne pouvez pas vécu le déplacement à l'étape du l'herméneutique. Ceci est un praxis philosophique y compris interactionnel vers l'autre, cette opération exige un défi et ainsi un enjeu vis-à-vis le texte à travers la langue.

Mots Clés.

Le coté philosophique et scientifique de l'herméneutique - la transformation du texte à l'intérieur de la compréhension langagière et du sens - le texte et la déconstruction.

Abstract.

If you don't have the techniques to understand a text from discoursing, adventuring and rereading of the first reading of the text,

them you won't savour the shifting to the stage (level) of the hermeneutics. This is a philosophical practice including interacting with others. This process necessitates challenge and thus an issue towards the text through language, accross the research of pheno- analytic for we can struture the concept towards the text in one a system and remake an new reread pheno- structural. And more , according to, this articme, we are etteeming make an out of place the original exemplary at other exemplayn including, eliminate the principal of according to under axe of text.

مقدمة.

فإذا ما اعتبرنا أنّ النصّ يبقى دائماً مقدّساً، فإنّ هذا لا يثينا عن مجاملته، ومن ثمّ فهمه في عملية جريئة تمثل الوصاية أو حتى الحماية على النصّ، الذي يُنظرُ إليه على أنّه القاصر (Mineur)، كونه وُجد للفهم والتأويل، ولم يوجد لصاحبه (مؤلفه). ومع ذلك، قد احسب نفسي متمكناً من ترجمته طبعاً عندما يقع العثور على أدوات مراوغة النصّ وتقكيكه، ومن ثمّ ممارسة القراءة وإعادة القراءة. إنّ قصور النصّ، يفتح إمكانية ترويض النصّ ومفاهيمه قصد التحكم في جانب المسكوت عنه، فاللامنطوق هو أساس حمل الثقة الذي تُضيفها القراءة الخارجية على الداخل، وهنا تحدث الثنية بين الخارج/ الداخل أي بين المسكوت عنه / المنطوق وأحياناً بين القراءة / وإعادة القراءة، وهذه العملية تتطلب قلب النصّ بإشكالياته على عدّة مناهج وثقافات المجتمع القارئ..

إنّ الوقوف على ممارسة التأويل يفتح أمام المتلقي إمكانية التعرف على نهاية التأويل وحدوده، لأنّه سوف يجعل كل نصّ غير قابل للتأويل، كما أنّه يفتح كُوة أمام ترجمات، وتأويلات أخرى لإعادة فهم النصّ، وقراءته بشكل مختلف أمام تعدّد اللغات والألسن؛ حيث النصّ، بابّ للمتعة الأدبيّة والفلسفيّة، ما يجعلنا نتشوّق دوماً باقتحامه، فيؤكد عبد السلام بنعبد العالي أن: « الترجمة قضية الفلسفة وموضوعها الأساس، وفعلاً يجد كل فيلسوف نفسه مُتنقلاً ذهاباً وإياباً بين لغتين

(على الأقل)، حتى في حالة عدم إلمامه بلسان آخر غير لسانه «⁽¹⁾ بإضفاء ترجمة خاصة، وقراءة تفتتح أمام الآخر.

تأخذ الترجمة عنواناً هو، تحويل النص من لغة إلى لغة والانتقال به في فضاء مفتوح هو للشرح والتعليق، ما يُؤفّر على تاريخ الفلسفة مساحات هي للتأويل، يكون فيها النص هو معنى الخطاب في أداة هي في قدرة اللغة على التلاعب داخل الفضاء، حيث نسعى في هذا المقال إلى تحليل الانتقال من كيفية إلى كيفية، يكون فيها القارئ هو المؤلف الأصلي، وعليه يكون بناء الدراسة وفقاً لـ:
إشكالية الدراسة.

نسعى في هذه الإشكالية الأساسية للدراسة، لطرح مسألة فلسفية، وفكرية في غاية الأهمية متمثلة في الترجمة والتأويل في الفكر العربي المعاصر، وبالأخص حاجة النصوص الفلسفية سواء التراث منها أو المعاصرة إلى إعادة قراءتها قراءة أركيو- فينومنولوجية، بمعنى إعادة قراءة القراءة بمنهجية مختلفة للآطاريح التي تمت على المتون الفلسفية، أما والآن يكون سعيها حثيثاً للوقوف على أهم التمهصلات الفلسفية لمسألة التأويل والترجمة، باعتبارها إشكالية معقدة تحتاج بالنسبة للمشتغلين عليها من امتلاك أدوات ترجمة النصوص أو حتى نقلها أو تغريبها (من العربية إلى الأجنبية).
أهداف الدراسة.

تحديد مشكلات تمهصلات ترجمة النصوص، والوقوف على التعقيدات التي تقف أمام المشتغلين على المتون بالعربية أو الأجنبية.
إعادة الاشتغال على النصوص بمناهج مغايرة، وبقراءة مغايرة.

تساؤلات الدراسة.

1- بنعبد العالي عبد السلام، في الترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (ط1)، (فبراير 2001)، ص 06.

ستحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

❖ ما هي مبررات اللجوء إلى الترجمة والتأويل غي وقتٍ صارت كل النصوص المشتغل قد أُولت.

❖ ما مدى نجاح المهتمين بطرح هذه المسألة على المتتبعين لهذه الحقول المعرفية من طلبة وأساتذة.

أهمية الدراسة ومبرراتها. من خلال ما يلي:

1- علاقة موضوع الدراسة بجدة الموضوع في إعادة طرحه للقراءة والتحليل من زوايا مختلفة.

2- جدة الموضوع خلقت منه أن يكون موضوع بحث متجدد، وهذا بإيجاد أدوات لتحليل الموضوع.

منهجية الدراسة.

يستند البحث على المنهج التحليلي- النقدي قصد طرح المسألة بشكل مختلف، بالاعتماد على رواد الكتابات في هذا الحقل.

مصطلحات الدراسة.

النسخة: هو العنصر الأصلي للكتابة عند المؤلف والذي يُشكّل محور ارتكاز تحليل النصوص في عذريتها.

النسخ: بصيغة متطرفة، هو التلاعب بعذرية المتون الأصلية، لكن من جانب إعادة قراءة هذه المتون، بما يكون فيه المؤلف غائباً من نصّه، ويصير معيد قراءة النص أو كاتبه هو المؤلف.

الدراسات السابقة.

اعتمدنا في بحثنا على العديد من الدراسات المتوفرة في مجال الترجمة والتأويل، نذكر منها: دراسة بنعبد العالي عبد السلام، فبراير 2001،

تحت عنوان: في الترجمة، اشتغل فيها المؤلف على كيفيات تحليل النصوص لإخراجها من الرتابة والدفع بالنصوص إلى قراءة عصرية؛ أما

دراسة 2005، ل: الزواوي بغورة، تحت عنوان: الفلسفة واللغة، اشتغل فيها المؤلف على المسارات التاريخية للتأويل لتحليل النصوص بعرض تجارب الفلاسفة والمهتمين بالشأن اللغوي كفقهاء اللغة عند نعوم تشومسكي وغيره.. ؛ دراسة 2003، ل: بن حسن حسن، تحت عنوان النظرية التأويلية عند بول ريكور، والذي أبان فيها حاجة النصوص إلى اعتماد الترجمة شريطة امتلاك أدوات التأويل بالأخص التمكن من اللغات والتحكم في أبجديات القراءة؛ أما دراسة 2005، ل: الزواوي بغورة، تحت عنوان: الفلسفة واللغة، اشتغل فيها المؤلف على المسارات التاريخية للتأويل لتحليل النصوص بعرض تجارب الفلاسفة والمهتمين بالشأن اللغوي كفقهاء اللغة عند نعوم تشومسكي وغيره.. ؛ دراسة 2006، ل: هانس غيورغ غادامير، تحت عنوان: فلسفة التأويل: الأصول، المبادئ، الأهداف، اشتغل فيها المؤلف على التجربة الإنسانية ومشكلة الهرمينوطيقا، كما عرض مشكلات التأويل والترجمة؛ دراسة 2007، ل: عمارة الناصر، تحت عنوان: اللغة والتأويل: مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، بين فيها المؤلف مستويات التجربة التأويلية، وعليه يكون بناء البحث كما يلي:

1- الانتقال والتجاوز.

كما يكون فيه المترجم هو المؤلف نفسه الذي يقع أحياناً ضحية لغته المستعملة، فيعجز عن مواجهة عنف اللغة أثناء الاستعمالات المتكررة للألفاظ والتعبير والشروح التي تُترجم سر النص، فيكون المترجم (التأويل) تعبيراً عن حالة اليأس، وهو يقرأ النص ويتفاعل معه، فالنص تعبير صريح عن السيرة الذاتية (Autobiographie) للنص أولاً، قبل المؤلف الأصلي لأنه يتفاعل مع النص في سابقة، كان يرى فيها قدرته على المواجهة وهو يستعمل طقوس اللغة، وهنا يمارس المترجم إسقاطاته النفسية حيث لا يستطيع أن يتحرر منها، فيكون إضفاء

للتشبع الثقافي المجتمعي ولطقوس اللغة ملمحاً قوياً في عملية الانتقال داخل النص بأداة اللغة. عندئذٍ، يصير النص هو المترجم، وهو المؤول أحياناً إذا كان عنوان التأويل هو الحفر عميقاً فيما وراء النص، أحياناً يكون هو الكشف عن المسكوت عنه (فضاءات فلسفية)، وهنا تظهر براعة المؤول في تجاوزه للتشبع الثقافي للنص الأصلي، ليقع ضحية لقراءة أخرى عندما يتعلّق الأمر بتفكيك النص ومفاهيمه: « وفي اعتقادي نستطيع الاستناد إلى مبدأ بوبر القائل بغياب أية قاعدة يمكن وفقها تحديد التأويلات الجيدة، ولكن هناك قاعدة واحدة على الأقل تسمح لنا بتحديد التأويل الرديء »⁽²⁾ لكن في الوقت نفسه، يفتح أمام النص أكثر من إمكانية لخلق التجاوز إلى قراءة أخرى ومناهج أخرى وهنا تحدث ثنائية الانتقال والتجاوز أو التأويل ونهاية التأويل..

ونحن نقرأ فعلاً الترجمة والتأويل، استوقفنا دلالة قصور النص وسلطة المترجم، حيث نتساءل بالقول: من أين استمد المترجم سلطته ؟

لا شك أنّ الفراغ الذي يتركه النص، وهو يُكتب للآخر ولفهمه، يُخلف وراءه فراغات، يستطيع مؤرخ الفلسفة (المؤول) أن يركب فوق هذه الكوّات (Les Embrassures)، ليخلق من النص امتيازاً جديداً، هو قدرة المُرشِد في تفسير المسافة بينه وبين العميل (المسترشِد)، لأنّ النص عندما كُتِب، فإنّه بات يحمل ترسبات ثقافية واجتماعية هي نتاج السيرة الذاتية منها قلق العبارة..

نعتقد أنّ قراءة الترسبات الثقافية والاجتماعية، سواء للوسط الاجتماعي أو للتفاعل أو حتى للفعل الاجتماعي، هي حاضرة بقوة عندما يتعلّق الأمر بالفاعل الاجتماعي (L'acteur Social) وهنا بالضبط بإمكان قراءة الترسبات من إنتاج للتكدسات المعرفية أكثر والفلسفية، التي هي نتاج سلطة المؤول (المُرشِد)، فيمثل

² — إيكو إمبرتو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي،

الدار البيضاء - المغرب، ط2، 2004، ص62.

قصور النص وصاية عن حقوقه أمام الترجمة أو حتى رهانات التأويل، والتحدّي الكبير الذي يُفرض على النصّ لمجابهة سلطة المُترجم وأحياناً، المتلقي الذي يقع ضحية سلطة النصّ وسلطة قراءة النصّ (الداخل/ الخارج)، فـ: « فبمجرد أن يتحوّل نصّ ما إلى نصّ مقدّس داخل ثقافة ما، فإنّه سيصبح مرتعاً لسلسلة من القراءات المتشككة »⁽³⁾.

قد يحسب القارئ، بأنّ تحويل النصّ من شكلٍ إلى شكلٍ هو كفيلاً بإخراجه من الغموض إلى البساطة، أحياناً قد يكون الهدف الظاهري هو المقصود، وأحياناً أخرى يبقى المسكوت عنه أي حُبث النصّ البديل هو الأكثر اعتماداً لفرض موقف خاص، وتمير ثقافة بديلة لمحو ثقافة أصلية احتوتها سطور النصّ الأصلي. لكن كيف يفهم معنى النسخة في مقابل النصّ النموذج ؟

لا تمتلك النسخة من سلطة على القارئ أكثر ممّا يملكه النصّ النموذج من سلط ودلالات فلسفية واجتماعية، وبما أنّ النسخة قد تشرح ما معنى دلالة النصّ، لكنها لا تُصرّح مقصديته الأصلية كوننا: « إذا قمنا بترجمة ذاتية متعالية بعزل الأنا - المفكّر الذي يمثل النسخة - من داخل الميتافيزيقا الكانطية، فإننا نفسد كل الجهود المبذولة لتثبيت الوحدة المتعالية للذات.. »⁽⁴⁾، فإذا كانت الآلة كانت قد أخذت حقّها من السلطة إلى جانب سلطة النسخة الأصلية (النصّ النموذج)، وأحياناً النسخة هي تشويه للنموذج، وإتلاف له. إذن ما دور المُترجم أمام هذا المسخ التقني ؟ أليس هذا تجاوزاً لصلاحيات النصّ النموذج، وعدم فهم لمقصديته الفلسفية..

³ - إيكو إمبرتو، المصدر نفسه، ص 63.

⁴ - Husserl, Les cahiers d'histoire de la philosophie, sous la direction de Jocélyn Benoist, Editions du Cerf, 2008, p. 249.

تكشف اللغة عن جملةٍ من المزدوجات أثناء استعمالها لترجمته، والانتقال به إلى مرحلة المتلقي (الآخر الموضوعي)، فلا يُصيح للنصّ فضاءً يُمكن تفكيكه، لأنّك عندما تكتب، تكتب للآخر، وهذا الآخر له بُعدان إما:

➤ بصفته المُمتمِز، لأنّ النصّ بترجمته وتأويله، مُوجَّهٌ إلى شريحة معينة.

➤ بصفته المختلف (الأقل تميّزاً)، لأنّ النصّ يُفهم بحسب طقوس اللغة ودلالاتها في الترجمة.

وهنا، نختلف في رأينا أثناء الحكم على هذين البُعدين، لأنّ الترجمة ستكون وظيفتها الإقصاء واستبعاد طرف عن طرف، وهذا تحييدٌ لموضوع للفلسفة، ولتاريخها.

إنّ الوظيفة الأم للفلسفة أو حتى التأويل، هي عندما يُوجَّه إلى إدراكات فلسفية يفتح فيها على كل الاحتمالات للقراءة، وهذا مكسبٌ بامتياز، يجعل من فعل التأويل، فعلاً حيويّاً ونشيطاً..

ومن جملة ما تطرحه الترجمة أثناء إستعاضها بلغاتٍ أخرى، هي المتناقضات التي تتفاعل داخل فضاءٍ للشرح، والقراءة، والتعليق يكون فيه التفاعل (Interaction) منهجاً للإنتاج، والتأويل، والقبول بالآخر (المتلقي، النصّ المترجم، المختلف، المتميّز ...)، ومن هذه المتناقضات التي تطرحها اللغة: الآخر والغير، الأصل والنسخة، الوحدة والتعدد، الهوية والاختلاف، النصّ والمتلقي، المترجم واللغة ...

2- ازدواجية الترجمة والتأويل في فعل الكتابة.

أنّ تتعامل مع النصّ، فإنّك تقيّده، فتجعله رهن طوعك وأنت تستعمل اللغات بدل اللغة الأصليّة، حيث الكتابة (الترجمة+ التأويل) هي قهرٌ للنصّ ودلالاته، عندما ننقل به من شكل إلى آخر، فأنت تُخرج النصّ من عليائه إلى وضعه في المكان الذي يستحقّه، فتعريفك للسيرة الذاتية، وللمعاناة التي مرّ بها النصّ وهو يُكتب للآخر (المتلقي)، فالنصّ عدمٌ، إذا لم يلاق اعتباراً من المتلقي، ويبقى في

شكل مخطوط مُشَقَّر، حيث: «الإنسان كائن يسعى دوماً إلى أن يفهم العالم»⁽⁵⁾، فتوظيف الفهم انطلاقاً من التأويل هو الوقوف على العلاقة المعرفية بين مختلف الألفاظ من معنى، ولغة التي يتحدّث بها النصّ، وما يحمله من أثقال معرفية، وإبستمولوجية، والتأويل هو لتفكيك النصّ، وإخراجه إلى المتلقي.

إنّ تفكيك النصّ ليس معناه قتلٌ للغة النصّ، بل هو الحفاظ على هويته أثناء الانتقال به من الوحدة إلى التعدّد، فمن مزايا النصّ، هو هويته كتعبيرٍ عن أصله، بحيث أنّ عملية التجاوز للنصّ وهو يُقرأ أو يُترجم، فيؤوّل فيكتب، هي إثباتٌ لهويته بتحريفٍ لبنية لغوية تُعبّر عن بنية ميتافيزيقية لتؤسّس لبنية ميتافيزيقية أخرى (النصّ دائماً يحافظ على طقوسه..).

لا شك أنّ الكتابة متمثلةً في الترجمة والتأويل، هي تعبيرٌ عن النسخة الأيقونة التي ستؤسّس للميدان أو الحقل الذي ستعتبره الفلسفة ميدانها الخاص (La Représentation) الذي تكثُر فيه النسخ، بالرغم من عدم تشابهها مع الأساس لكنها تُماثل النموذج، إذن يطرح النصّ في لغته معنى الأصل، النموذج، الأساس، النسخة لقول جيل دولوز (Gilles Deleuze) (1925 - 1995): «... ولا داعي للتأكيد أنّ وحدة الأصل وهويته وتطابقه هي التي تؤسّس وضعية النسخة»⁽⁶⁾.

تحاول الميتافيزيقا كدراسة للنصوص أن تطرح معنى الوحدة في مقابل التعدّد في الكتابة والقراءة، والأكثر في اللغات، وهذا الطرح سوف يجعل من النصّ ضحيّة الفهم نتيجة اعتماد اللغة الواحدة في قراءته وترجمته (فعل التأويل)، وهو ما يطرح معنى استشكال التأويل: «وخصوصاً إظهار باطن العبارة الذي لا يظهر من اللفظ

⁵ - Gadamer, Hans Georg, Vérité et méthode les grandes lignes d'une herméneutiques philosophiques, édition intégrale, revue complétée par pierre Fruchon, Jean Merlio, Paris, 2ditions Seuil, 1996, pp. 515.

⁶ - Deleuze Gilles, Logique du sens, U.G.E, Minuit, Paris, Coll 10/ 18, p. 350.

«⁽⁷⁾، فتكون الميتافيزيقا في حالة توظيفها عتبةً (Entrave) أمام فهم النصّ وتباينها، كما أنّها تفتح أمامنا العثور على إمكانية قراءة النصوص من الخارج، بعد إصابة النصّ بالعجز أثناء توظيفه للغة الواحدة من الداخل. إنّ وجود النصّ للقراءة يُحتمّ رفض معنى الوحدة في اعتماد اللغة، لأنّ فهمه، هو في توظيف لأكثر من لغةٍ، وإلاّ سنقع أحبولة لغة الميتافيزيقا، لكن بإمكان النصّ أن يطرح معنى تقارب اللغات في عملية الفهم التي وُجد من أجلها النصّ، حيث التأويل والترجمة عمليتان لاقتراان القراءة وتشفير النصّ، وليس عملاً يأتي بعد.

تعدّ اللغة استجابةً للنصّ للتعبير عن ماهيته، عندما يقترب من فك رموزه في الانتقال به من وضعيته الثابتة إلى المتحركة، وهو أثناء القراءة، فحتى وإن قاربت اللغة بين معاني تفكيك النصّ، فهي: « لا تُمثّل سلطة.. » ⁽⁸⁾. أما الكتابة هي قهرٌ لفعل اللغة بخلق انفتاح النصّ على فضاءاتٍ للقراءة، وإنتاج أفهم آخر ومتغيّر، بل هي لغة ضد اللغة نفسها التي قرأ بها النصّ: « فهي تصنيفٌ ينطوي على نوع من القهر، إنّها حكمٌ فاشي » ⁽⁹⁾، حيث الترجمة هي إبداعٌ للقراءة وللغة الكتابة.

يطرح النصّ في تحوُّله (Transformation) من لغته الأصليّة إلى لغة الترجمة والكتابة بُعداً تأويلياً مرتبطاً بالمعنى وباللغة، كشكل يتحدّد من عملية الانتقال إلى

⁷ - بغورة، الزواوي، الفلسفة واللغة: نقدُ المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة،

بيروت، ط1، 2005، ص 53.

8 - Blanchot Maurice, L'espace Littéraire, NRF, Gallimard, (1955) p. 51.

⁹ - المرجع السابق، ص 17.

عملية الانفتاح على مجالات معرفية أخرى مرتبطة بالمؤلف، وبالمتلقي في عملية مزدوجة حيث: «الآخر المختلف هو الهناك والمجهول والغامض والمخيف، والترجمة هي بداية تفكيك لسحره ووجهه بأن تجعله مقروءاً ومفهوماً ومفسراً»⁽¹⁰⁾، لنتفتح الترجمة إستراتيجية لتوليد الفوارق، بل أحياناً إقحام الآخر في الذات، بل توريطه لقراءة النصّ، قراءة جريئة ومسؤولة عمودياً وأفقيّاً بخلق تفكيك يتناسب مع غير المألوف، وهو ما يتيح عدّة فرص لفهم النصّ على الأقل، علماً أنّ مزدوجة (إقحام - توريط) جاءت لتعبر عن معنى الإنتاج، على خلاف ما أشار إليه بنعبد العالي في توظيفه لمصطلح - إقحام الآخر - الذي يُشير إلى المعنى النفسي الذي ينزع إليه الآخر وهو يقرأ، أو يكتب كفعل تعبري عن الداخل، فإنّ هذا المنحى أساسي لعملية التفاعل مع النصّ، فإنّ مصطلح - توريط - الذي وُظف من قبلنا كان الأكثر قراءة لفهم النصّ من الخارج وهو يفرض أدوات لتفسير النصّ بآليات لعمل الكتابة (اللغة) أثناء تحمّل المسؤولية في مواجهة النصّ.

عندما تكون أمام ممارسة فعل الترجمة، فأنت تنتقل بالنصّ في حركة انسيابية عن طريق ممارسة تأويل اللفظ أثناء المحافظة على هويته، بالرغم من فعل ممارسة اللغة مكان اللغة الأصلية، وكأنّ النسخة الأصليّة تمّ انزياحها بفعل قوة النسخة التي أخذت مكانها، فهويّة النصّ بلغته هي نفسها كما كانت، لكن إبطال الشيء بإقامة آخر مكانه، يكون هو صاحب الفعل الحركي أثناء تحوُّله من الحركة

إلى الحركة، فالنصّ بسكونه هو متحرّك ويفرض حركة مستديمة عندما يخضع للغة التي تحوُّله من حالة إلى حالة، ومن وضعيّة إلى وضعيّة أخرى أقوى من الأولى:»

10 - جاسير دافيد، مقدمة في الهيرمينوطيقا، تر: وجيه قانصو، منشورات الاختلاف الجزائر، (ط 1)، (2007)، ص 09.

فالترجمة هي نسخٌ واستمرار وإلغاء» ⁽¹¹⁾، فتطرح النسخة في تحوّلها معنى التكرار خصوصاً عندما ينتقل بالنصّ بترجمته إلى كتابته بلغةٍ أخرى، ما يجعل من النسخة فرض القهر على اللغة وإمساكٌ على قدرتها في التحوّل بالنصّ إلى شكله المطلق، فالحقيقة التي تطرحها النسخة هي التكرار والاجترار، فيصبح عندئذٍ باب التأويل والترجمة محدوداً بمحدودية الانتقال بالنصّ من لغةٍ إلى أخرى..

إنّ فعل ممارسة معنى النسخة أو النسخ على النصّ الأصلي، يجعل من اللغة سواء الأصلية أو المترجمة حيّةً دوماً، حيث يكون فيها المستمع مُشكِلاً لحلقةٍ مهمة: يتوجه فيها الخطاب المنطوق إلى شخص يُحدّده الموقف الحوارى سلفاً- لأنه يتجه إليك، أيها المخاطب- يتجه النصّ إلى قارئ مجهول (...)، التي يمكن التعبير عنها بصورة مفارقة (Paradox) « ⁽¹²⁾، فهي التي تنقل النصّ من حالةٍ إلى حالةٍ يكون فيها التكاثر والنماء فعلياً، خصوصاً وأنت تقرأ، فتكتب، فتعطي للنصّ إمكانية أن يُخبرك باللامفكر فيه، أثناء فرض قدرتك لمجاملة النصّ فيفتح أمامك فضاءً للمغامرة ومن تم للقراءة.. وهذا يتوقف على اللغة المستعملة وقوة معانيها واستعمالات مصطلحاتها، فيزيد القاموس اللغوي قوةً بتجديده أثناء حركية اللغة والانتقال بالنصّ في فعل الترجمة والكتابة، فحياة اللغة ليس في قاموسها المتداول، بل في استعمالاتها في القراءة والترجمة التي تجعلها متحركة وحيّة، فالتأويل متمثلاً في الكتابة والحفر هو سنامُ اللغة، وديمومتها، وإلاّ انتهت..

¹¹- بنعبد العالي عبد السلام، المرجع السابق، ص 26.

¹²- ريكور، بول، نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي

العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 2003، ص 63.

في الحقيقة، ما يُميز المترجم هو تحويله للنص من وضعه الذي يُمثل استرداد: « الماضي أو الثقافات الأخرى عبر فعل التواصل إلى الحاضر »⁽¹³⁾، ويخرج عن كونه حبيس النموذج النصي الذي وضعه المؤلف من خلال فعل القراءة / التأويل، ويتحول النص من كونه منتجاً شخصياً إلى كونه منتجاً جمعياً موجهاً إلى الآخر.

3- البناء الأنطولوجي للفهم.

لقد اتبع بول ريكور (Paul Ricœur) (1913 - 2005) كما يبدو لتحليل فلسفته بما سماه بالبناء الأنطولوجي للفهم من خلال إبستومولوجيا التأويل أي ممارسة النقد على مختلف التأويلات، وبيان حدودها واستيعاب ما هو مكتشف من تكوينية الكائن.

تعدُّ الأنوار حالة نفسية، وموقفاً عقلياً اتجاء الحياة تتميز بالاستقلال والانفتاح والنقد. فتحليلاته هي معالجة تمزقات الوعي المعاصر، أي التمزقات التي أنتجها عصر التقنية والإفرازات السلبية للحدث، حيث يصف: « وضعية الفلسفة المعاصرة بكونها مأزومة »⁽¹⁴⁾. فالقضايا الأساسية والجذرية: « الفلسفة التأملية هي تلك المتعلقة بمعرفة الذات كحامل المعرفة والإرادة والتقدير، وبتعبير آخر، فإنَّ التأمل هو هذه العملية التي نعود فيها على ذاتنا في وضوح ذهني

13- إبراهيم، أحمد، سرّ الترجمة وهاجس التأويل، تأليف جماعي: التأويل والترجمة: مقاربات لآليات الفهم والتفسير، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، (ط1)، (2009)، ص 23.

14- بن حسن حسن، النظرية التأويلية عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، بيروت، (ط2)، (2003)، ص 07.

ومسؤولية أخلاقية لنمسك بموجبها بمبدأ موحد لمختلف العمليات التي تتوزع عليها الذات والتي تنسى فيها نفسها بفعل هذا التشتت نفسه» (15).

لقد عرف التأويل مع مارتن هيدجر (Martin Heidegger) (1889 - 1976) تحوُّلاً نتيجة ما قام به لتحويل فهم النص من الإستومولوجيا إلى الانطولوجيا بتجاوز المنظور المنهج (الميتودولوجي) كان هذا بعد دلتاي، وخصوصاً مع ريكور. فمن الانتقال لمعنى *Interprétation* إلى *Herméneutique* يتحدّد التأويل من خلال منحيين هما:

- الغاية والمسلّك، فهي غاية أنطولوجية ومسلّك إستومولوجي، باعتبار أنّ الأولى هي الجهد العقلي الذي يقوم به لإرجاع معنى ظاهر ومجازي إلى معنى باطن وحقيقي.

- أما الثانية هي الوقوف على الكثافة الفلسفية من أجل الإمساك بالكائن لتأويل تعبيرات جهده من أجل الوجود.

إذا أُعتبر الأنا أفكر هو وحدة الإدراك المتعالي يجب أن يرافق كل تمثالتنا كما يقول كانط (E. Kant)، لكن كيف يتعرّف الأنا أفكر على نفسه ؟ كون إذا كنت: « لا أستطيع الإمساك بذاتي في مباشرة شفافة، وبما أنّ التأمل ليس حدسياً باطنياً للذات، فإنه يتعين عليّ باستمرار فك رموز مختلف تعبيرات جهدي من أجل الوجود لمعرفة مَنْ أنا » (16)، فيكون التأويل هو التغلب على مسافة زمنية أو لغوية ما، من المعنى، حيث مع تغيرات الدلالة مع دلتاي يصبح المصطلح يشير إلى وضع قواعد كلية لفهم النصوص، وهذا برفع من شأن التفسير (Exégèse) إلى مستوى العلم وهذا مع ريكور.

15 - Ricœur Paul, Du texte à l'action, Edition du Seuil, (1986), p. 25.

16 - Ibid., p. 13.

دائماً يستعيد ريكور التأويل لأجل التفكر التاريخي، ففلسفته التاريخية قد خضعت لبراديغم الوعي الذاتي. فيطرح مشكلة التواصل على النمط التاريخي من خلال الأحداث، ليتيح للتأويل فسحة يقترضها هذا الأخير من التاريخ لتحليل المفارقة بين التأويل والترجمة في عملية يفترض فيها: « جدلية مزدوجة من التفسير والفهم التي لا تفتح فقط التأويل على علوم النص بل تؤسس طريقاً جديداً لفلسفة الفعل والتي من خلالها يحتل الفعل الإنساني وضعية وسطية بين النص والتاريخ »⁽¹⁷⁾، بحضور التاريخ الذي يساعد دائماً على أشكلة الموضوع، بمحاولة استملاك للتاريخ ولكثافته الفلسفية الأنطولوجية/ الإبيستمولوجية لفهم النص. فبداية تفكير الظاهرة الأدبية والإنسانية من خلال محاولة تفكير الوضع الأنطولوجي- الإبيستمولوجي أثناء العثور عليه، وهذا بإستملاكه أي منحه حاضراً لأنه في موضع تفكير الآن، فأنت عندما تقف في مواجهة النص، فإنك تتيح له إمكانية تفكيره في الحاضر بإعطائه فرصة الانفتاح على الحاضر أو الآخر الذي يقف أمامه مواجهاً.

لقد اكتسب مفهوم الهيرومينوطيقا عبر تاريخ توظيفه بالأخص مع شلايرماخر (Daniel Schleiermacher 1768-1834 منحاً معقداً، لارتباطه باللغة بشكل نوعي، إضافة إلى آخرين مثل دلتاي، ريكور، غادامير، هيدغر، لتصبح الهيرومينوطيقا فن الحفر والفهم، وإذا كانت اللغة (*) بمثابة حلقة خلقت منها الهيرومينوطيقا

¹⁷ - ابن عمر، سواريت، التأويل بين الفهم والتفسير عند بول ريكور، تأليف جماعي: التأويل والترجمة: مقاربات لآليات الفهم والتفسير، المرجع السابق، ص 207.

* - اعتدنا دائماً، النظر إلى اللغة من داخل المنظومة السوسيوبورية (De Saussure) كمنظومة نسقية مجردة، ويمثل شلايرماخر حلقة تطوّر اللغة أثناء ربطها بالتأويل من خلال النص أي كل سوء فهم النص يتطلب فهمه والحاجة إلى إدراكه، وتزداد الحاجة إلى فهمه كلما كانت الرغبة في حل شفرته متاحة..

غموضاً، إلا أنها أتاحت لها فهم النص انطلاقاً من الذات والكيونة، حيث: « تسعى اللغة إلى فتح العالم الذي يحمل كل روابط الانتماء وغلقة على مستوى الكتابة حتى يستجمع هذا العالم معناه »⁽¹⁸⁾.

يبدو، أن مصطلح الهيرومينوطيقا مقتبس من مفهوم الحدس لـ هوسرل (E. Husserl) (1859 - 1938) لقوله: « فالفكرة الأعرق لدى هيدجر هو أن هذه الدلالية الأولى ترتبط داخلياً بتجربتنا الخاصة وبطريقة تواجدها - في العالم »⁽¹⁹⁾، حيث العالم في وجوده المعطى، فإنه ذو دلالة، لكن حتى الانتظام في هذه الأجسام المتحركة يحتاج إلى أن تنتظر إلى التنظيم: « والتي بدورها تحتاج إلى تأويل »⁽²⁰⁾، مع نيته، فربط هيدجر الحدس بالفهم كشكل من أشكال التعرف على هذه الأجسام المتحركة التي انتظمت تحت قوة تأويلية.

لقد ازدادت القصيدة تأثيراً في تفكير هوسرل عندما اعتبر بالأخص، أن كل شعور، هو شعور بشيء ما، ليذهب بهذا الحدس الفهمي للهيرومينوطيقا إلى ربط الحدس بالفهم لا لكونه: « يرجع إلى جود بنية عقلية مسبقة »⁽²¹⁾، بل لأن الحدس ينطلق مني وبشكل ثابت، حيث هيدجر قد قضى على الهيرومينوطيقا التقليدية لاعتنائها بالوجود ذاته.

إنّ - الكائن هنا - بوصفه موضوعاً لا يمكن تلمسه، فيقف هذا الموضوع في مواجهتي، فهو إذن في ندية مع ذاتي، فترى الواحد منا إذا أتاح لنفسه أن يتعرف

¹⁸ - ناصر، عمارة، اللغة والتأويل: مقاربات في الهيرومينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف - دار الفارابي، ط1، 2007، ص 55.

¹⁹ - غرندان، جان، المنعرج الهيرومينوطيقي للفيومينولوجيا، تر: عمر مهيل، الدار العربية للعلوم - ناشرون - منشورات الاختلاف، بيروت، (ط1)، (2005)، ص 105.

²⁰ - المصدر نفسه، ص 106.

²¹ - المصدر نفسه، ص 107.

على صورته ثانية أو على صوته، فإنّه تراه يُصابُ باندھاش من صوته أو صورته، فيجيب هيدجر: « فالدازين في حدّ ذاته ليس موضوعاً للتأمل، بل إنّهُ يوجد دائماً لتلبية أي نداء بالإكمال »⁽²²⁾.

إنّ عبارة - أنا هنا - يعني أنّه لا يُمكنني التخلي عن هذا الوجود الخاص بي، وهو معنى تحقيق أن أنجز هذا الحدث وأمارسه. ف - أنا - يقابله في الإنجاز بالحدث - Ibid - وهو يعيش دوماً داخل الإنهماك بالذات حيث: « إنّ مهمّة الهيرمينوطيقا هي أن تجعل كل دازين يُحسن إرھاف السمع لوجوده، أن ينظر في خصوصياته، أن يتواصل معه، وأن يعمل على محاربة اغتراب الذات المسلّط على الدازين »⁽²³⁾، فإن يكون الفهم هو عنوان الهيرمينوطيقا، فهذه مغامرة تستحقّ التتويه أكثر على الرجوع إلى نواتنا، أكثر من كونها راديكالية، وهذا الفهم لابدّ أن يتحدّد انطلاقاً من الفضيلة، وبالتالي تُسقط عنها كونها: « منهجاً، أو ميداناً للموضوعات المختلفة »⁽²⁴⁾، لهذا، النصّ الفينومينولوجي هو بمثابة نصّ مشفّر يحتاج إلى استنطاق، وهذا ما يجعل من إصدارنا للأحكام فينومولوجياً على فهم النصّ بمثابة مجاملة يُركّز غادامير في عملية الفهم الفينومينولوجي على دور التاريخ واللغة في ترسيخ عملية فهم النصّ، حيث تحديد الفهم هو من خلال فكرة الحوار مع الآخر، في تحرير للعقل من الحقيقة، ومن الأصول الميتافيزيقية.

النتائج.

مما سبق نصل إلى النتائج الآتية:

- 1- نتحدث عن علاقة الجزء الهيرمينوطيقا بالكل الفينومينولوجيا، حيث اندماج التأويل في الظاهرة، هو تحليل لعلاقة الإبستمولوجيا

22- المصدر نفسه، ص 108.

23- المصدر نفسه، ص 110.

24- المصدر نفسه، ص 155.

بالمناهج، على خلاف بول ريكور في تحديده للاندماج على أساس الإدراك الحسي، ولكن ما يجمع الاثنين هو القراءة.

2- تمثل عمليتا الكتابة والترجمة تشكيلاً لفعل التأويل والمتمثل في الحفر وراء فهم النصوص: « تاريخ للنص »⁽²⁵⁾، وهو ما يطرح الاختلاف والخلاف بين القراءات التأويلية في الوقوف على قراءة النصوص للنص الواحد.

3- الدعوة من خلال الكتابات الفلسفية إلى تفعيل عملية الترجمة في تحليل النصوص وهو ما يفتح باباً آخر للتأويل.

4- الدعوة إلى الوقوف لاكتشاف التقنيات المعاصرة للتأويل.

مراجع المقال.

1. إبراهيم أحمد، سرّ الترجمة وما جس التأويل، تأليف جماعي: التأويل والترجمة: مقاربات لآليات الفهم والتفسير، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، (ط1)، (2009).
2. إيكو إمبرتو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، (ط2)، (2004).
3. بن حسن حسن، النظرية التأويلية عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، بيروت، (ط2)، (2003).
4. بغورة، الزواوي، الفلسفة واللغة: نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، (ط1)، (2005).
5. بنعبد العالي عبد السلام، في الترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (ط1)، (فبراير 2001).
6. جاسير دافيد، مقدمة في الهيرمينوطيقا، تر: وجيه قانصو، منشورات الاختلاف، الجزائر، (ط1)، (2007).

8. ريكور، بول، نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، (ط1)، (2003).
9. غرندان، جان، المنعرج الهيرمينوطيقي للفينومينولوجيا، تر: عمر مهيل، - الدار العربية للعلوم - ناشرون - منشورات الاختلاف، بيروت، (ط 1)، (2005).
10. Blanchot Maurice, *L'espace Littéraire*, NRF, Gallimard, (1955).
10. Deleuze Gilles, *Logique du sens*, U.G.E, Minuit, Paris, Coll 10/18.
11. Husserl, Les cahiers d'histoire de la philosophie, sous la direction de Jocélyn Bénoist, Editions du Cerf, (2008).
12. Gadamer, Hans Georg, Vérité et méthode les grandes lignes d'une herméneutisues philosophiques, édition intégrale, revue complétée par pierre Fruchon, Jean Merlio, Paris, 2ditions Seuil, (1996).
13. Ricœur Paul, *Du texte à l'action*, Edition du Seuil, (1986).
14. Ricœur Paul, *Le conflit des interprétations*.
15. Ricœur Paul, *Meurt le personnalisme, revient la personne*, in Esprit, (janvier 1983).